مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

الأساليب التربوية في مدينة فاس
منذ تأسيسها إلى نهاية الدولة الموحدية

د. حنان الحقوني
باحثة في تاريخ المغرب الوسيط
دكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله – المملكة المغربية

مُلَخّص

تربية الأبناء هم يحمله الآباء على عاتقهم منذ الأزل، وقد اختلفت الطرائق المستعملة في التربية حسب طبيعة المجتمع والعوامل المؤثرة فيه، كما تدخلت عناصر مختلفة في هذه العملية، وانطلاقا من كون مدينة فاس حظيت بمكانة خاصة منذ تأسيسها فقد ارتأينا دراسة الطرائق التي تم اتباعها في التربية بهذه المدينة منذ تأسيسها إلى نهاية الدولة الموحدية، وذلك بالاعتماد على المادة المصدرية المتاحة في دراسة هذه الفترة التاريخية، لنجد أن أساليب التربية تنوعت بين الترغيب والترهيب، وتراوحت بين اللين والشدة؛ ويرجع ذلك بالأساس إلى الاختلافات الثقافية والاقتصادية داخل المجتمع نفسه، وكذا الأهداف التربوية المرسومة من لدن الآباء والمجتمع والدولة، وعلى العموم فقد استعملت الأسر المثقفة في غالب الأمر أساليب لينة في تهذيب أبنائها، في حين كانت الأساليب العقابية أكثر ما يستعمل داخل باقي الأسر. تبعًا للطرائق المتبعة في التربية والتي امتازت بالتنوع والتباين جاءت النتائج، فاختلفت باختلاف طبقات المجتمع وثقافاتهم وحسب الأهداف المتوخاة من التربية، والتي تراوحت بين ما هو ديني ودنيوي، وقد أدى انعدام الفكر النقاشي بمدينة فاس والمغرب إلى تكريس ثقافة الانصياع والخضوع، والتي يمكن إرجاع سببها كذلك إلى الطرائق الصارمة التي استخدمت في التربية؛ فكانت النتيجة مجتمع متباين السلوك؛ مجتمع صوفي يعنى بالدين والأخلاق، إلى جانب مجتمع تنتشر فيه المحرمات ويسوده الانحلال الخلقي.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٢٠ يونيو ٢٠٢٤
تاريخ قبول النشر: ٢٦ يوليو ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية؛ تاريخ التربية والتعليم؛ التربية؛ فاس؛ التحفيز؛ القدوة؛ التربية الذاتية

معرّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/kan.2024.298231.1141

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

حنان الحقوني. "الأساليب التربوية في مدينة فاس منذ تأسيسها إلى نهاية الدولة الموحدية".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد السادس والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٤. ص ٧٩ – ٨٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: hananeelhakounii@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تُعَدّ التربية ضرورة اجتماعية تؤثر في سلوك الأفراد وتصرفاتهم وموافقهم، ويحظى هذا الموضوع باهتمام بالغ من قبل مختلف الشرائح الاجتماعية لما له من دور في الرقي بالأمم وازدهارها، وقد تعددت الطرائق التي تم اعتمادها في تربية الأبناء بمجال مدينة فاس منذ تأسيسها إلى نهاية الدولة الموحدية وهي الفترة التي سنعنى بدراستها (ق٢/ ٧هـ- ١٣/٩م)، فاعتمدت مختلف العناصر المتدخلة في عمليات التربية على مجموعة من الطرائق من أجل الوصول إلى الأنموذج الذي يرغب كل من الفرد والمجتمع في تكوينه انطلاقًا من الطفل، وبالنسبة لمدينة فاس خلال فترة الدراسة ، فإنها لا تخرج عن هذا الإطار بحيث برزت بعض الإشارات المصدرية التي تؤكد اعتماد هذه الطريقة أو تلك، كما أكد ابن سينا في كتاب السياسة على ضرورة الاهتمام بتربية الأطفال منذ صغرهم، ويفضل أن تنطلق هذه العملية منذ الفطام "قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة".[١]

إن مبادئ مفكري التربية وأفكارهم في الغالب الأعم هي نظرية؛ أي اهتمت بما ينبغي أن يكون وليس بالضرورة بما هو كائن، كالطرائق التربوية التي سادت أو تسود المجتمع، لكن لا يمكن إنكار كون هذه الأدبيات تسهم وبشكل كبير في التعرف على مختلف الطرائق التي استعملها المجتمع في التربية والتي زاوجت في أحايين عديدة بين اللين والشدة، كما اتفقت أغلب الآراء التربوية الإسلامية على الكيفية التي تنفذ بها تلك الطرائق[٢]. وتتميز التربية بتنوع أساليبها وتعددها، بما يتيح للمربي اختيار الأنسب والأفضل لطبيعة المتربي، بما يجعله يستجيب لمؤثراتها نفسيًا وسلوكيًا[٣]، وتبعًا للأسلوب المتبع في التربية وطبيعة الفرد تحدد النتائج.

لكن من أهم الصعوبات التي تواجه الباحث في تاريخ التربية هي تداخل مفهوم التربية مع مفهوم التعليم؛ حتى غدا كل منهما يدل على الآخر وذلك لحاجة أحدهما للآخر فلا يمكن حدوث تربية دون تعلم ولا تعليم دون تربية، إلا أن المفهوم الأول يُعَدّ أعمق وأهم وأرسخ بالنسبة للفرد والمجتمع، فحسب دراسة سبق وقمنا بها[٤] توصلنا إلى أن أهداف التربية متعددة فهي تؤثر في فكر الفرد وشعوره وصحته وأخلاقه؛ أما التعليم فلا يمكنه أن يحدث دون وجود تربية، ويطور جانبين أساسيين في الفرد وهما الفكر والأخلاق. خلال فترة الدراسة استخدمت مجموعة من المصطلحات التي تدل على التربية مثل التأديب والسياسة والتهذيب والتدبير والرعاية، فهي رعاية الفرد صحيًا وفكريًا وشعوريًا وأخلاقيًا مع محاولة إدماجه في المجتمع ووعيا من مجتمع مدينة فاس بأهمية التربية فقد استعملت منهجيات عديدة اختلفت باختلاف وعي الأسر والمحيط الاجتماعي؛ كما مارسها البعض عن وعي والبعض الآخر عن غير وعي أو بالتقليد.

فما هي أبرز الطرائق التي اعتمدها سكان مدينة فاس لتربية أبنائهم منذ تأسيس المدينة إلى حدود نهاية الدولة الموحدية؟

أولاً: طرائق ترغيبية

ركز ابن خلدون على أهمية الأساليب اللينة في تربية الصغار، وضرورة تجريب اتباعها باستمرار قبل اللجوء إلى أساليب أخرى، فينبغي "على المعلم في متعلمه، والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب"[٥]، وسبقه إلى الرأي نفسه ابن الجزار القيرواني حيث رأى أن الأب إذا "عود ابنه الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة ونال المحبة والكرامة وبلغ غاية السعادة"[٦]، فأساليب التربية عديدة وعلى المربين اختيار ما يلائم حاجات أبنائهم النفسية والعقلية.

١/١-القدوة الحسنة

القدوة لغة: الأسوة، يقال فلان يقتدى به[٧]، ويذكر الفيروز آبادي في القاموس المحيط "أن القدوة هي ما تسننت به واقتديت به، والقدوة اسم من اقتدي به، إذ فعل مثل فعله تأسيا، وفلان قدوة أي يقتدى به"[٨]. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى القدوة في كتابه العزيز مرات عدة، فقال تعالى: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا »[٩]، وهذه الآية تأكيد على ضرورة اتباع أثر الرسول (ﷺ) في أقواله وأفعاله. وكذلك قوله عز وجل

«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ»[١٠].

أما اصطلاحًا: نماذج بشرية متكاملة تقدم الأسلوب الواقعي للحياة في مجالاتها المختلفة، السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية.[١١]

ويعتبر أسلوب التربية بالقدوة من بين أهم الأساليب التربوية المؤثرة في السلوك، لأنها تطبيق عملي يثبت القدرة والاستطاعة الإنسانية على التخلي عن الانحرافات، والتحلي بفضائل الأعمال والأقوال، فهذا النوع من الأساليب التربوية ينتقل بالفرد من الحيز النظري إلى الجانب التطبيقي المؤثر، فتلامس بها الأبصار، والآذان والأفئدة فيحصل الاقتناع والإعجاب ثم التأسي[١٢]. ويرى ابن خلدون أن القدوة هي خير ما يمكن أن يسهم في التكوين الإيجابي لشخصية الطفل حيث إن الأطفال يتأثرون بالتقليد والمحاكاة والمثل التي يرونها، وذلك لكونها "أشد استحكاما وأقوى رسوخا"[١٣]، لذلك كانت القدوة الحسنة من الوسائل المؤثرة في التربية.

وتبرز بعض الإشارات المصدرية التي تؤكد اعتماد بعض سكان مدينة فاس هذه الطريقة، من قبيل اقتداء علي بن إسماعيل بن حرزهم بأبيه وعمه[١٤]، اقتداء التميمي الفاسي بأبيه وتقليده لأفعاله في شبيبته[١٥]، بالإضافة إلى اقتدائه بالشيخ أبي يعزى وذلك منذ نعومة أظفاره[١٦]، ثم زياراته المتكررة له في مرحلة شبيبته، بل ومصاحبته له في العديد من تحركاته وأسفاره، "إذ أن التميمي اصطحب هذا الولي في كثير من تنقلاته داخل المغرب، فقد سافر لزيارته بمراكش لما أمر بالإشخاص إليها، ولازمه بمقر سكناه بإيركان[١٧]"، وهو ما يدل دلالة صريحة على أن هذا النوع من التربية يتم في مرحلة الوعي الفكري وتقتضي الملازمة للمقتضى به قصد تقليد سلوكياته والتأثر به.

٢/١-الوعظ والإرشاد

يقصد بالموعظة في اللغة: النصح والتذكير بالعواقب، وهي تذكير للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب[١٨]. وقد ارتبطت الموعظة بالحكمة التي يجب أن يتحلى بها الواعظ ومن ذلك قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»[١٩]، إذ أن في القلوب شفافية عجيبة، تظهر وتتأثر بالكلمات الرقيقة وبالمواقف المؤلمة التي تستعطف العواطف فتعدوا بها نحو الخير، فتجد قلوب من يخافون الله تتأثر بكلام الله عز وجل، وتتأثر بما فيه من الوعد والوعيد[٢٠]، فاستعمال الوعظ والنصح من أمثل الطرق التي تهذب سلوك الفرد وتسموا بها.

يعتبر التميمي النموذج الأبرز الذي يؤكد حضور هذه الطريقة في الجانب التربوي، حيث نجده يتلقى نصيحة من أبي القاسم عبد الرحمان الأصولي، الذي قال عنه التميمي الفاسي "كنت إذا لقيته في الطريق وأنا في حد الصبا، فيقول لي: يا محمد! تذكر قول الله تعالى: «تلك الجنة التي أورثتموها»[٢١] فأقول له: «بما كنتم تعملون»[٢٢]، فيقول لي: وأين العمل؟ كان مراده أن ينبهني بذلك للعمل وأن لا يرى مني إلا فرضا أقضيه، أو نفلا أمضيه"[٢٣]، وكذلك النصيحة التي قدمها له أبو إسحاق إبراهيم ابن يغمر حيث أوصاه الاهتمام بالوقت[٢٤]، وهي بمثابة حكمة، كما تلقى نصيحة أخرى من خلال أبي يعزى الذي نبهه إلى ضرورة بر الوالدين ولزومهما خاصة في الكبر[٢٥].

ولعل كثرة ما قدم للتميمي من نصائح ومواعظ وحكايات، يبين أن عصره كان مليئا بها، ويتم توارثها بين الأفراد ذكورا وإناثا، بل وسيشهد ابن العربي الحاتمي على حكمة التميمي نفسه وذلك بقوله: سمعت محمدا بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس [...] في سنة أربع وتسعين وخمسمائة يقول: تكلم أربعة ملوك بأربع كلمات؛ كأنما رميت عن قوس واحد قال كسرى: أنا على رد ما لم أقل أقوى مني على رد ما قلت، وقال ملك الهند: إذا تكلمت بكلمة ملكتني وإن كنت أملكها، وقال قيصر ملك الروم: لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت، وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول"[٢٦]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تقديم النصائح والمواعظ لم يكن دائمًا للفرد مباشرة بل قد يتم تقديمه للجماعة، كبارًا وصغارًا، وبطرائق مختلفة مباشرة أو غير مباشرة.

إضافة إلى النماذج السابقة نجد النصح والموعظة واضحا في رسالة قاضي مراكش لابنه الذي يدرس بفاس، الذي قدم له توجيهات مهمة عن طرائق التعامل مع المجتمع والنجاح في الدراسة، ونظرًا لأهمية النص ارتأيت الاستشهاد بجزء هام منه، حيث يقول: "[...] وقد أجمعت الأمة على أن الراحة، لا تنال بالراحة، وأن العلم، لا ينال براحة الجسم، فادرس ترؤس، واحفظ تحفظ، واقرأ ترقى، ومهما ركنت إلى الدعة، كنت من أهل الضعة، وما رأيت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه، وما رأيتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه، والأعدل الأقسط، أن تسلك السبيل الأوسط.

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل والسلام[٢٧]".

٣/١-المكافأة والتشجيع

أكد العديد من المفكرين التربويين على أهمية المكافأة والتشجيع في عملية التربية، حيث كان بن سحنون القيرواني يقول لمعلم ابنه محمد "لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف، وإني أرجو أن يكون نسيج وحده، وفريد زمانه. واتركه على نحلتي"[٢٨]، كما أوصى ابن الحاج على ضرورة أن يكرم الطفل على الفعل المحمود "ويجازى عليه، بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس"[٢٩]. أما بالنسبة لمدينة فاس، فلدينا رسالة توضح حضور ثقافة المكافأة والتشجيع لدى المجتمع، وهي رسالة عيسى بن عمران(ت. ٥٧٨هـ) قاضي الجماعة بمدينة مراكش، والتي أرسلها إلى ابنه الذي كان يدرس بمدينة فاس، حيث قال "[...]وإذا وجدتكم على ما أحب من أدوات الحفظ و الأداء، والتزام أدب العقلاء، جازيتكم بما يرضيكم، وبما يزيد على أقصى تمنيكم"[٣٠]، وفي الإطار نفسه، نجد تأثر الموحدين بالغزالي في مزج الأدب بالعطاء[٣١]، حيث يقول الغزالي: "مهما ظهر من الصبي من خلق جميل، وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في ببعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه[٣٢]"

٤/١-التربية بالحكاية

تعد القصة من أقوى عوامل استثارة الطفل، والتأثير فيه تأثيرا لا ينحصر على وقت سماعه أو قراءته لها، وإنما يتجاوز إلى تقليد ما يجري فيها من أحداث، وما ينطوي عليه من شخصيات ووقائع وسلوك وأخلاق في حياته اليومية الواقعية[٣٣]، وتبرز أهمية القصة في التأثير النفسي العميق الذي تتركه في ذهن المستمع أو القارئ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه وأفكاره، وهي أحد أهم أساليب التربية، وقد وردت مجموعة من القصص في القرآن الكريم حيث قال سبحانه وتعالى: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»[٣٤]، «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك»[٣٥]، وقوله عز وجل: «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين».[٣٦] فالقصة لها وظائف متعددة، خاصة منها أخذ العبرة بطريقة مبسطة وميسرة، وقد وظف بعض المعلمين الحكاية والقصة والنوادر خلال مراحل الدرس لإبعاد جو الكلل من جهة، ولاستقطاب الطلبة من جهة ثانية[٣٧]، فهي تشد القارئ أو المستمع، وتؤثر في عواطفه وانفعالاته، وتنتقل بخياله حسب الأمكنة والأحداث، بحيث يتم تتبع القصة دون ملل.

ومن أعظم القصص التي يمكن أن تربي الطفل تربية وجدانية سلوكية وأخلاقية؛ قصص القرآن الكريم فمن أهم مميزاتها أنها قصص واقعية بعيدة عن الخيال، وتقدم أمثلة حية ومازالت تقع في المجتمع، مثل سورة يوسف التي توضح كيد إخوته له، وصبره على محنه، ومكافأة الله له وتحقيق رؤيته. تعددت مصادر القصص فإضافة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، نجد كتب التراجم والسير، التي تحكي عن فئات اجتماعية أثرت في المجتمع، وقد حظيت مدينة فاس بنصيب لا يستهان به من هذه الكتب، والتي أظن أن سبب تأليفها والاعتناء بها كان تأثر مؤلفيها بما روي لهم في مختلف مراحلهم العمرية عن تلك الفئات الاجتماعية. ويبرز توظيف هذا الجنس الأدبي بمدينة فاس من خلال كتاب المستفاد، الذي يتموقع بين نوعين من الكتابة، كتابة منقبية وأخرى حكائية، سردية، فهو يجسد عملية تدوين للذاكرة

الشفهية بكل ما حفظته من حكايات كرامية أو التي يطغى عليها الطابع التسجيلي التوثيقي لبعض الأحداث والوقائع. وقد مكن هذا التقاطع بين الكتابة المنقبية والرواية الشفهية من حضور معلومات تاريخية وعناصر ومعطيات أنثروبولوجية بالغة الأهمية جعلت من الكتاب وثيقة تعبر عن الواقع الذهني واليومي المعيش[٣٨].

فإذا كان التميمي قد وضع مؤلفه هذا للحديث عن كرامات الصلحاء والأولياء وذكر مناقبهم، فهذا دليل واضح على أن مثل هذه الروايات كانت سائدة في المجتمع وتستعمل لإعطاء أمثلة أو قدوة للأطفال والشباب على حد سواء، كما أن هناك إشارات في ثنايا كتابه تؤكد استحضار المرأة لهذه الطريقة التربوية[٣٩]. وقد شجع الموحدون "على نشر الكتب التي تتحدث عن الفروسية أو سيرها، وكتب المغامرات والقصص سواء في المغرب أو الأندلس، بل سمح بقراءة هذه الكتب من فوق منابر المساجد"[٤٠]، ومن أهم القصص الشائعة آنذاك نجد قصة الجازية والشريف التي ذكرها ابن خلدون في تاريخه[٤١]، وبذلك فالحكاية كانت حاضرة في عملية التربية، ولو بطريقة غير مباشرة، وأعتقد أن حكايات الجدات (الحجايات) كانت متأصلة في البيئة الثقافية المغربية خلال الفترة المدروسة.

١/٥-التربية الذاتية: auto-éducation

يرى الباحثون في التربية أنها عملية تشارك فيها عناصر عديدة، وهو أمر لا شك فيه؛ إلا أن هناك أسلوبا آخر لتلقي التربية وهو ما يعرف بالتربية الذاتية أو التلقائية، حيث يربي الفرد نفسه ويوجهها وجهة سليمة بما يوافق الغاية التي رسمها لها[٤٢]، فهي إذا تربية الفرد نفسه بنفسه، ولا يمكن أن يمارس هذا الأسلوب إلا في مرحلة متقدمة من العمر، حيث يكون الفرد قد اكتسب معارف ومهارات فيجد في نفسه بعض المساوئ التي يسعى إلى تغييرها، ويمكن اعتبارها أسلوبا راقيا في السيطرة على الذات وترويضها قصد الوصول إلى أهداف مسطرة. ورغم أن هذه النظريات هي حديثة، إلا أن ذلك لا يعني بتاتا أن مثل هذه الأساليب لم تستعمل خلال فترة الدراسة، ففطرة الإنسان دفعته إلى التفكير في مجاهدة نفسه قصد البلوغ إلى طموحاته.

من أبرز النماذج التي يمكن الاستعانة بها للتأكيد على حضور التربية الذاتية بمجال مدينة فاس، علي بن إسماعيل بن حرزهم، الذي جاهد نفسه في أهم ما يصبوا إليه كل فرد داخل أي مجتمع ألا وهو "المال"، فقد كان "سبب تركه للدنيا وزهده فيها أنهما [هو وأخوه أبو القاسم] اتفقا على قسمة التركة التي ورثاها عن أبيهما، رحمه الله، فلما قام الفقيه أبو الحسن بالليل لورده، جال خاطره في التركة وما يأخذ منها لنفسه وما يترك حتى لم يدري ما صلى، واشتغل سره بذلك، فلما أصبح بعث لأخيه أبي القاسم المذكور وقال له: أحضر الشهود حتى أتصدق عليك بميراثي في أبي"[٤٣].

ثانيًا: طرائق ترهيبية

عمد المربون إلى استعمال طرائق أخرى غير الأساليب الترغيبية السابقة الذكر، والتي اتسمت بنوع من العنف والشدة، واختلفت حسب الفئات الاجتماعية، ويمكن القول إن تلك الأساليب اعتبرت سيئة للطفل ولمستقبله، بل سماها الباحثون التربويون بـ: أساليب الإساءة للطفل وهي كل فعل أو امتناع عن فعل يعرض سلامة وصحة الطفل البدنية والعقيلة والنفسية والاجتماعية والروحية وعمليات نموه المختلفة للخطر[٤٤]. وإن كان مفهوم الإساءة من الناحية التربوية حديث إذ لم يظهر إلا خلال الستينات من القرن الماضي[٤٥]، إلا أنه لا يمكن إنكار وجوده واقعيا خلال فترة الدراسة، فكل ما يعرض الفرد للخطر من أي نوع هو إساءة له، لكن ضرورات التربية وذهنية المجتمع والدولة جعلت اتخاذ الوسائل التربوية [العنيفة] في حالات عديدة يخرج من نطاق الإساءة، إلى نطاق الواجب التربوي.

فماهي الأساليب الترهيبية التي استخدمت في التربية بمجتمع مدينة فاس؟ وكيف كانت ردة فعل المجتمع تجاه استخدام مثل هذه الطرائق؟

١/٢-العقاب الجسدي أو العقاب بالضرب

اهتم المربون المسلمون بأمر عقوبة الطفل، ورأى بعضهم أنه لابد من العقوبة على أن تبدأ بالإنذار فالتوبيخ فالتشهير فالضرب الخفيف، وقال آخرون بإباحة الضرب والعقوبة الجسدية الشديدة إذا ما تجاوز

الطفل حدود المعقول المقبول ولم ينفع فيه الإنذار والتوبيخ والتشهير والضرب الخفيف[٤٦]، [..] والعقوبة نوعان روحي وبدني، ويقول قدماء المصريين، "إن آذان الصبي في ظهره، فهو يصغي عندما يضرب"[٤٧].

في مقابل ذلك نجد أن ابن خلدون يرفض عقاب الصبي لأنه "يكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه، وتربي فيه روح المخافة والانقياد"[٤٨]، أما ابن سحنون فيقول أنه "لا بأس أن يضربهم على منافعهم، ولا يجاوز بالأدب ثلاثا إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحدا، ويؤدب على اللعب والبطالة ولا يجاوز بالأدب عشرة. وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز ثلاثا"[٤٩]، وأكد ابن الجزار القيرواني على ضرورة الحذر في هذه المسألة فإن كان "الصبي طبيعته جيدة، أعني أن يكون مطبوعا على الحياء وحب الكرامة والألفة محبا للصدق، فإن تأديبه يكون سهلا، وذلك أن المدح والذم يبلغان منه عند الإحسان أو الإساءة ما تبلغه العقوبة من غيره فإن كان الصبي قليل الحياء مستخفا للكرامة قليل الألفة محبا للكذب، عسر تأديبا، ولابد لمن كان كذلك من إرغاب[٥٠] وتخويف عند الإساءة ثم يحقق ذلك بالضرب إذا لم ينجح التخويف"[٥١]. وهذا الرفض وصل بأحد الباحثين إلى نبذ العنف حتى في تعليم الطفل "فطريقة تعليم الطفل لا تكون بالعنف والقهر لأن الإرهاق في التأديب يحمل المتعلم على الخبث والكذب ويعلم المكر والخديعة ويذهب بنشاط النفس وهمتها، وإنما تكون بالمثل الأعلى الذي يجب أن يسعى إليه كل معلم وهو تهذيب الفكر والإرادة"[٥٢].

وأكد معظم هؤلاء المفكرون على إمكانية استعمال الضرب كوسيلة من وسائل التربية لكن مع استخدامه بحذر شديد، وقد نحت الأمثال الشعبية هذا المنحى من قبيل: "غير قريه، وأنت اقتل وأنا ندفن"[٥٣]، يستشف من هذا المثل أن الآباء كانت لديهم رغبة جامحة في تدريس أبناءهم واعتقادهم أن العنف وسيلة أساسية لإجبار الابن على الدراسة، حتى أنه يفضل موته بدل عدم اهتمامه بدراسته، لذلك استعمل الضرب كوسيلة من وسائل حث المتعلم على الانتباه إلى دراسته وأخلاقه خاصةً في الكتاتيب، حيث كان المدرس عند اكتشافه لأخطاء أحد تلامذته ينزل به عقابا بقضيب يحتفظ به بمقربة منه أما إذا كان الذنب أكبر من ذلك كإساءة الأدب أو الإساءة إلى النظام فالعقاب يكون أشد[٥٤]، إضافة إلى عدة أمثلة أخرى توضح مدى استعمال العقاب الجسدي كوسيلة للتربية[٥٥].

أما بمدينة فاس فتبرز إشارات تهم ابن حرزهم، الذي سأل أباه عن سبب صلاة أحد المتصوفة المغرب قبل وقتها فضربه ومنعه من السؤال عن ذلك[٥٦]؛ وبذلك نصل إلى أن أسلوب الضرب كان حاضرا في الثقافة العربية والمغربية على حد سواء، رغم معارضة بعض المفكرين لها، خاصة ابن خلدون الذي يشير إلى النتائج العكسية لهذا النوع من التربية، "فمن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقا"[٥٧].

فهل كان المجتمع على وعي بهذه النتائج الوخيمة لاستعمال أسلوب الضرب في تربية الأبناء؟

إن مناقشة مسألة وعي مجتمع مدينة فاس بخطورة استعمال أسلوب العقاب الجسدي على أبنائهم تبقى صعبة، إذ النماذج المتعلقة بذلك شبه منعدمة، ولا تشبع نهم الباحث، وهو ما يجعل مسألة رفض أو قبول هذه الطريقة التربوية غير محسومة بالنسبة لسكان فاس. فالأنموذج الواحد والوحيد الذي استطعت الوصول إليه يتعلق بامرأة سجن ولدها "وخافت عليه أن يضرب"[٥٨] فتوجهت إلى الفقيه علي بن إسماعيل بن حرزهم ليتوسط لولدها عند القاضي حتى لا يضرب. فالإشارة أولاً تهم فردًا بالغًا ولا تتعلق بصبي، كما أن الجهة التي تولت العقاب هي السلطة الحاكمة، ولذلك رفضت الأم هذا النوع من العقاب، أو ربما استصعبته على ابنها.

ورغم أن المادة المصدرية لا تشير بوضوح إلى رفض مجتمع مدينة فاس مسألة ضرب الأبناء، إلا أنه يمكن تقديم نماذج من مجالات مجاورة كالأندلس والقيروان.

ففي المجال الأندلسي قام صاحب بلنسية يحيى المأمون بن ذي النون بإرسال ابنه إلى التعلم على يد الأديب بكر بن فضلون وأرفقه بغلامه صندل؛ ويؤكد الأستاذ عبد الإله بنمليح أن هذه الرفقة لم تكن من أجل تعليم العبد وإنما لغرض آخر أفصح عنه الأب مخاطبا المؤدب "إذا أنت أدبت ابني هذا أو أتى بنكير فاضرب فتاه صندلا هذا مكانه"[٥٩]، تؤكد هذه الإشارة كون فئة [النخبة] رفضت ضرب أبنائها حتى وإن قام بما يستحق ذلك، ففضل الأب معاقبة العبد عوضا عن معاقبة الابن.

أما في القيروان فقد قام سحنون والد محمد بن سحنون القيرواني (ت. ٢٠٢هـ)؛ بحث معلم ابنه الوحيد على حسن معاملته قائلا: "لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف، وإني أرجو أن يكون نسيج وحده، وفريد زمانه، واتركه على نحلتي"[٦٠].

لعل سبب رفض سحنون ضرب ابنه هو معرفته لشخصيته ولنباهته العلمية التي ظهرت في صباه، ومحمد بن سحنون نفسه رفض من خلال مؤلفه كتاب آداب المعلمين ضرب المعلمين لمتعلميهم "ذلك لأنه يضربهم إذا غضب وليس على منافعهم"[٦١]، لكن إذا كان الغرض هو تحقيق منفعة الصبي فهنا يتغير رأيه إذ "لا بأس أن يضربهم على منافعهم، ولا يجاوز بالأدب ثلاثا"[٦٢]. إن الآراء الفقهية ألحت جميعها على تجنب العقاب الجسدي للأطفال، بل وعلى آثاره المستقبلية فى نفسيتهم وشخصيتهم[٦٣]، بل منهم من أكد على ضرورة استشارة الأب قبل ضرب الابن إذا كانت العقوبة تتجاوز ثلاثا[٦٤]، وذهب ابن الجزار القيرواني أبعد من ذلك حين رأى أن الأطفال تختلف طبائعهم ولذلك يجب أن تختلف أساليب التعامل معهم[٦٥]، أما ابن سينا في كتاب السياسة، فقد أكد على ضرورة تعدد أساليب التربية بين الترهيب والترغيب والإيناس والإيحاش[٦٦]، ولم يمنع الأب من استعمال الضرب بل نصح بأن تكون الضربة الأولى مؤلمة للصبي[٦٧].

نخلص إذا إلى كون أسلوب العقاب الجسدي لم يكن ممنوعًا بشكل نهائي، إذ سمح باستعماله في حدود معينة يكون هدفها الأساسي تعديل السلوك، أو الحث على التعلم، مع التأكيد على ضرورة الحيطة والحذر أثناء العقاب.

٢/٢-القمع والإهانة واللوم والصراخ

شكل أسلوب القمع، والجفاء، والإهانة، والعقاب إحدى الأساليب التي ميزت النظام التربوي داخل الأسر بمدينة فاس، وظهر ذلك من خلال مجموعة من النماذج التي أبرزتها المصادر التاريخية، ومثال ذلك غضب أحد الأولياء على أهل داره لكونهم تهاونوا في تحضير الدواء لأحد المرضى، حتى أن المريض سمع ذلك[٦٨]، كما أن ابن طاطو[٦٩] أخذ يصرخ على ابنته بسبب تبذيرها، عندما جاء مجموعة من الأشخاص إلى بيته رغبة منهم في طلب مساعدته لبناء قنطرة سفح جبل زلاغ، إلا أنهم عادوا أدراجهم لما سمعوا الصراخ، فلما عرف بقدومهم توجه إليهم وأعلمه أنه كان يقوم بتربية ابنته بقوله ذلك شأني في تربية ابنتي"[٧٠]ولا يتعلق الأمر بشحه أو بخله، ولكي يؤكد ذلك تكلف ببناء القنطرة لوحده[٧١].

برز أسلوب آخر في العقاب استعمله المدرسون مع طلبتهم، وتمثل في الجفاء واللوم، فهذا أبو عمرو عثمان السلالجي كان كلما التقى مدرسه محمد بن عيسى التادلي إلا ورفض أن يرد عليه السلام، وهو ما دفعه إلى الاستفسار عن السبب فأجابه التادلي "إنك لا تقصد وجه الله تعالى بالعلم، فلذلك ينبغي أن لا يرد عليك السلام [٧٢]"، ومما يبين أن هذه الوسيلة -الجفاء- كانت تؤتي أكلها مع طلبة العلم هو إتمام السلالجي حديثه بقوله: "فانصرفت عنه مهمومًا[٧٣]". وكذلك علي بن إسماعيل ابن حرزهم (ت. ٥٥٩هـ) الذي ذكر: " كنت مًارا في بعض الطرق وصبيان يلعبون، فضرب صبي منهم رجلي، فعظم علي، فصحت عليه وأغلظت له في القول"[٧٤]، فالعنف اللفظي في هذه الحالة صدر من فقيه عالم، وندم بطريقة غير مباشرة على ما فعله حيث تصدق بمئزره الذي لم يكن يملك غيره وعندما سئل عن سبب ذلك أجاب "لا يجمع الله في مؤمن سوء الخلق والبخل"[٧٥]، إذا فقد صنف ابن حرزهم صراخه على الصبي في خانة سوء الخلق، وحاول التكفير عنه بالصدقة، غير أننا نتصور أن مثل هذه التصرفات كانت تصدر من قبل المارة أو العامة تجاه الصبيان، وبذلك

نجد أن المربين استحضروا بشكل كبير أسلوب الصراخ والقمع من أجل تربية الأطفال.

نخلص في نهاية دراسة الأساليب التربوية إلى القول بأن أهل مدينة فاس والمستقرين بها استعملوا أساليب متعددة في إطار تربيتهم لأطفالهم، حيث زاوجوا بين الأساليب الترغيبية من قبيل المكافأة والقدوة والمدح والحكاية، ثم الترهيبية مثل القمع والصراخ واللوم والضرب وغير ذلك، هذا التداخل جعل من الصعب تحديد الأساليب الأكثر استعمالا إلا أنه يمكن التأكيد على ما وصل إليه محماد لطيف[٧٦] في أطروحته من كون الأسر [الأرستقراطية]، فضلت الأساليب اللينة في التربية، ولم تلجأ إلى العنف إلا في الحالات القصوى، في حين استعملت الأسر العامية أسلوب الضرب والتقريع تجاه الأبناء، غير مبالية بتأثير ذلك في نفسيتهم ومشاعرهم.

خَاتِمَةٌ

تباينت الطرائق التي اتخذها مجتمع مدينة فاس لتربية أبنائه خلال فترة الدراسة، والتي تراوحت بين اللين والشدة؛ أو الترغيب والترهيب، ويرجع ذلك بالأساس إلى الاختلافات الثقافية والاقتصادية داخل المجتمع نفسه، وكذا الأهداف التربوية المرسومة من لدن الآباء والمجتمع والدولة، وعلى العموم فقد استعملت الأسر المثقفة في غالب الأمر أساليب لينة في تهذيب أبنائها، في حين كانت الأساليب العقابية أكثر ما يستعمل داخل باقي الأسر.

فبالنسبة للطرائق الترغيبية تعددت وسائلها كالقدوة الحسنة التي تعتبر من أهم أنواع التربية لكونها تقدم أنموذجا حيا وشاخصا يتم تتبعه والتأثر به، وقد اعتمدت ساكنة فاس هذا النوع من التربية وحببت لأبنائها شخصيات اعتبرتها أنموذجا يمكن الاقتداء به؛ وأسلوب الوعظ والإرشاد، الذي قدمه الآباء لأبنائهم في أحايين عديدة، أو المدرسون، والعلماء والصلحاء في أحايين أخرى، والهدف الأساس من الوعظ هو تنبيه الفرد لسلوكه وتحديد نتائجه المحمودة والمنبوذة؛ ثم المكافئة والتشجيع الذي غالبًا ما يكون معنويا أكثر منه ماديا، وهو محفز قوي على بذل المجهود من أجل تحقيق أهداف لا يصبوا إليها المتربي فقط بل محيطه قبله؛ وكذلك الحكاية أو القصة وهي موعظة تقدم بطريقة غير مباشرة، وتتميز بطابعها السردي الحكائي الذي يجعل المتلقي يستوعبها ويستفيد منها، وقد كانت أغلب الحكايات المتداولة داخل المجتمع الفاسي عبارة عن حكايات واقعية عايشها بعض أفراد المجتمع ونسجوها ليستفيد منها أبناؤهم؛ ثم التربية الذاتية وهذه الأخيرة لا يمكن أن تمارس إلا في مرحلة عمرية متقدمة وبوجود وعي لدى الفرد، حيث يسموا بذاته إلى محاولة التحكم في طبائعه وتربية نفسه على تجاوز هفواتها.

أما بالنسبة للطرائق الترهيبية فلم تقل وسائلها تعددا كاستخدام الضرب الذي تباينت الآراء عن استعماله كوسيلة من وسائل التربية، وقد استعملت هذه الوسيلة في مجتمع مدينة فاس من قبل مختلف الشرائح الاجتماعية قصد تقويم سلوك الأفراد؛ إلا أن نتائجها يمكن أن تكون عكسية، ولذلك ألحت المؤلفات المعالجة لموضوع التربية خلال الفترة الوسيطية على ضرورة تجنب العقاب الجسدي لما له من أثر سلبي في شخصية الطفل، لكن أغلب تلك المصنفات لم تمنعه بل حددت أسباب استخدامه وطريقته؛ ثم يأتي أسلوب القمع والجفاء واللوم والصراخ، الذي استعمل كذلك بشكل واضح في مجال مدينة فاس، فلجأ المدرسون في تحسيس تلامذتهم بخطأ ما إلى مقاطعتهم ولومهم، ولجأ أفراد المجتمع إلى الصراخ والإهانة في حق الأطفال في الأزقة والشوارع، ولم يتم التمييز في استخدام هذه الأساليب بين الذكور والإناث.

تبعًا للطرائق المتبعة في التربية والتي امتازت بالتنوع والتباين جاءت النتائج، فاختلفت باختلاف طبقات المجتمع وثقافاتهم وحسب الهدف المتوخى من التربية، والتي تراوحت بين ما هو ديني ودنيوي، وقد أدى انعدام الفكر النقاشي بمدينة فاس والمغرب إلى تكريس ثقافة الانصياع والخضوع، والتي يمكن إرجاع سببها كذلك إلى الطرائق الصارمة التي استخدمت في التربية؛ فكانت النتيجة مجتمع متباين السلوك؛ مجتمع صوفي يعنى بالدين والأخلاق، إلى جانب مجتمع تنتشر فيه المحرمات ويسوده الانحلال الخلقي.

الملاحق:

خطاطة أساليب التربية في مدينة فاس

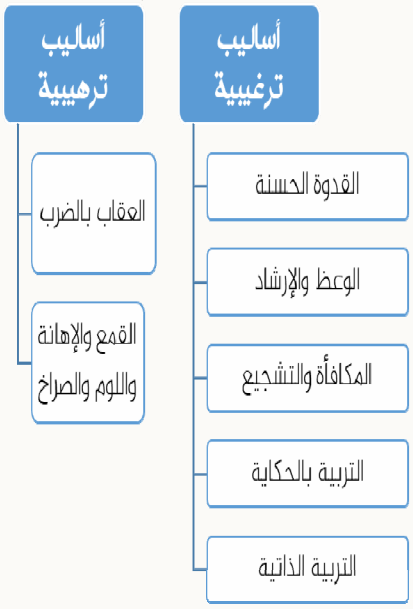

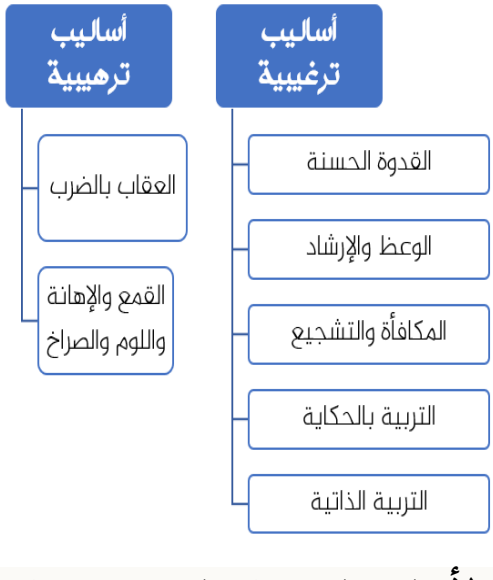

الأساليب المتبعة في التربية بمدينة فاس خلال فترة الدراسة

الإحالات المرجعية:

(١) ابن سينا ابن علي، **كتاب السياسة**، تقديم وضبط وتعليق: علي محمد إسبر، بدايات للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سوريا، جبلة، ٢٠٠٧، ص٨٣.

(٢) نجد أن الأدبيات التربوية تتفق في الكيفية التي يؤدب بها الصبيان في أغلب الأحيان، خاصة المؤلفات التالية؛ ابن الجزار القيرواني، **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، ٢٠٠٨؛ محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطري، الطبعة الثالثة، راجعها إبراهيم بن مراد، منشورات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، مكتبة بيت الحكمة، قرطاج، ٢٠٠٠م، ابن الحاج الفاسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المالكي)، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ، أربع أجزاء، وكذا ابن سينا في مؤلفه كتاب السياسة، م.س.

(٣) خالد بن حامد الحازمي، **أصول التربية الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، سلسلة المنظومة التربوية رقم ٥، المدينة المنورة، ٢٠٠٠م، ص ٣٧٥.

(٤) الحقوني حنان، **التربية والتعليم بمدينة فاس من التأسيس إلى نهاية الدولة الموحدية ٦٤٦/١٩٢هـ-٨٠٨/ ١٢٤٩م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، تحت إشراف عبد الإله بنمليح، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، السنة الجامعية ٢٠١٨-٢٠١٩، ج١، ص٥٤.

(٥) ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، تحقيق حامد أحمد الطاهر، الطبعة الأولى، دار الفجر للتراث-القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٦٩٢.

(٦) ابن الجزار القيرواني، **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، م.س، صص ١٣٧-١٣٨.

(٧) ابن منظور الأنصاري محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، دون تاريخ، ج١٥، ص ١٧١.

(٨) الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، **القاموس المحيط**، تحقيق محمد عيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، طبعة منقحة ومفهرسة، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ٢٠٠٥، ص ١٣٢٣.

(٩) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(١٠) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(١١) عبد الرحمان صالح، **مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، د.ت، ص ١٩٩.

(١٢) خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، م.س، ص ٣٧٨.

(١٣) ابن خلدون، المقدمة، م.س، ص.٥٨.

(١٤) ابن عيشون الشراط أبي عبد الله محمد، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ٣٥، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧، صص٥٧-٦٩-٧٠.

(١٥) حيث يذكر التميمي ذلك قائلا: **"رأيته (أبو يعزى يلنور) بمدينة فاس (كان مستوطنا بحومة البليدة حسب ما أورده صاحب السلوة، ١٧٤/١)، وصل إليها، وأنا إذاك صغير، فحملني إليه والدي ودعا لي،**

وجر يده على رأسي. ثم لما كبرت، سافرت إليه إلى موضعه مع جماعة من المردين. وموضع سكناه على مسافة ثلاثة أيام من مدينة فاس"، التميمي الفاسي أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، الطبعة الأولى، مطبعة طوب بريس الرباط،٢٠٠٢، ج٢، ص٢٩.

(١٦) نفسه، م.س، ج١، ص٩٨.

(١٧) نفسه، ص٩٩.

(١٨) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، م.س، ص٤٦٦.

(١٩) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢٠) خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، م.س، ص ٣٩٧.

(٢١) سورة الزخرف الآية٧٢.

(٢٢) الآية نفسها.

(٢٣) التميمي، المستفاد، ج٢، م.س، ص٢٠٦.

(٢٤) قال له: "**العمر ثلاث ساعات: فساعة مضت عنك، لا تنجبر، وساعة تنتظرها، لا تعلم هل تدركها، والساعة التي أنت فيها، فاحفظها واعمرها بالطاعات تربح**"، نفسه، ص١٠٠.

(٢٥) يذكر التميمي في هذا الصدد: "**وفي وقت إقامتي عنده، (يقصد أبي يعزى) أخذتني حالة، فبغضت إلي الدنيا، وكرهت الرجوع إلى موطني، وقلت لا أدخل مكانا عصيت فيه ربي، وعزمت على ذلك. فقال لي الشيخ: لا يمكنك ذلك، لأن لك والدة، والمقام معها وبرك بها أفضل، فامتنعت من ذلك، وبكيت، فعزم علي، فرجعت**"، نفسه، ص٣٩.

(٢٦) محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط١، دار تبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٩، صص١٣٧- ١٣٨.

(٢٧) ابن أبي زرع الفاسي علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٩م، ص٣٥٢.

(٢٨) محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، م.س، ص٢٣.

(٢٩) ابن الحاج، المدخل، م.س، ج٣، ص١٨١.

(٣٠) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، مص٣٥٢.

(٣١) المنوني، حضارة الموحدين، م.س، ص٢٤.

(٣٢) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد، **إحياء علوم الدين**، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، بدون تاريخ، ج٣، ص٦٣.

(٣٣) أحمد سمير عبد الوهاب، **قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية**، ط١، عمان، دار المسيرة، ٢٠٠٤، ص٦٧.

(٣٤) سورة يوسف الآية ١١١.

(٣٥) سورة هود الآية ١٢٠.

(٣٦) سورة يوسف، الآية ٣.

(٣٧) لطيف محماد، **الحياة الأسرية بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني، ٦٦٨- ٨٦٩هـ/ ١٢٦٩- ١٤٦٥م**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، تحت إشراف أحمد المحمودي، السنة الجامعية، ٢٠٠٦- 2007، ص٢٩٧.

(٣٨) التميمي الفاسي، المستفاد، ج١ الدراسة، م.س، ص١٢-١٣.

(٣٩) نفسه، صص ١٥٠- ١٩٠.

(٤٠) المنوني، حضارة الموحدين، م.س، ص ١٠١.

(٤١) الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ج٢ (الدولتان المرابطية والموحدية)، ص١٦٦-١٦٨.

(٤٢) هاشم علي الأهدل، **التربية الذاتية من الكتاب والسنة**، دار التربية والتراث، ٢٠٠١، ص٣.

(٤٣) ابن عيشون، الروض العطر، م.س، ص ٥٩.

(٤٤) صبري الربيحات، **دراسة حول ومفهوم وأشكال الإساءة للطفل في الثقافة العربية**، مجلة علوم التربية، المجلد الثالث، العدد ٢٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مارس ٢٠٠٢، ص١٣.

(٤٥) نفسه، صص١١- ١٢- ١٣.

(٤٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣، م.س، ص ١٦.

(٤٧) جان يويوت وآخرون، **معجم الحضارة المصرية القديمة**، ص ١٠٤؛ للمزيد من المعلومات عن طرائق التربية عند المصريين القدماء أنظر: أحمد بدوي وأحمد جمال الدين مختار، **تاريخ التربية والتعليم في مصر**، ج١، العصر الفرعوني، المكتبة العربية، عدد ١٥٧، القاهرة ١٩٧٤، ص ٢١٧- ٢٢٩.

(٤٨) عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، م.س، ص٦٩٢

(٤٩) محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، م.س، ص٨٢.

(٥٠) يرى المحقق محمد الحبيب الهيلة أن أصلها **إرهاب** لكنه لا يثبتها في المتن، ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدبيرهم، م.س، ص ١٤٠.

(٥١) نفسه، ص ١٣٩- ١٤٠.

(٥٢) الحسن السائح، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، الطبعة الثانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص٧٧.

(٥٣) إدريس دادون، **الأمثال الشعبية المغربية**، مطبعة السلام الجديدة، الدار البيضاء، دون تاريخ، ص٢٢٤.

(٥٤) لوتورنو روجي، **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة نقولا زيادة، سلسلة مراكز الحضارة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٦٧، ص ١٧١.

(٥٥) من أبرز هذه الأمثلة نجد: "انسل كموني حتى كيندق عاد كيطلق الريحة"، "قد البوسة قد القرسة"،" لعصا خرجت من الجنة" وهو ما يعني أن ضرب الصبي أساسي لتقويم سلوكه وتهذيب أخلاقه، إدريس دادون، الأمثال الشعبية المغربية، م.س، ص٢٤١- ٢٢٥- ٢٥٢.

(٥٦) ابن الزيات التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحيى، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، الطبعة الثانية، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص ٩٨؛ القادري بوتشيش إبراهيم، **المغرب والأندلس في عصر المربطين المجتمع الذهنيات والأولياء**، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٩٣، ص٦١.

(٥٧) ابن خلدون، المقدمة، م.س، ص٦٩٢.

(٥٨) التميمي، المستفاد، م.س، ج٢، ص٢٤.

(٥٩) بنمليح عبد الإله، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، الطبعة الأولى، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤، ص ٤٥٣.

(٦٠) محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، م.س، ص٢٣.

(٦١) نفسه، ص٨٢.

(٦٢) نفسه.

(٦٣) ابن خلدون، المقدمة، م.س، ص٦٩٢.

(٦٤) أكد محمد بن سحنون على ذلك قائلا: **"ولا يجاوز بالأدب ثلاثا، إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحدا"**، بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، م.س، ص٨٢.

(٦٥) إذ ناقش ذلك قائلا: **"قد نجد من الصبيان من لا يستحي ونجد منهم من هو كثير الحياء، ونجد من هو يمل التعليم ويبغضه، وقد نجد أيضا في ذوي العناية منهم وذوي العلم من إذا مدح تعلم علما كثيرا، ومنهم من يتعلم إذا عاتبته أو عاتبه المعلم ووبخه، ومنهم من لا يتعلم إلا للفرق من الضرب، وكذلك نجد اختلافا كثيرا ومطردا في الذين يملون التعليم ويبغضونه"** ابن الجزار القرواني، سياسة الصبيان وتدبيرهم، م.س، ص١٣٦.

(٦٦) ابن سينا، **كتاب السياسة**، م.س، ص٨٣.

(٦٧) **"فإن احتاج** [الأب] **على الاستعانة باليد لم يحجم عنه وليكن أول الضرب قليلا موجعا كما أشار به الحكماء قبل بعد الإرهاب الشديد، وبعد إعداد الشفعاء فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها، واشتد منها خوفه وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به"**، نفسه، ص٨٣- ٨٤.

(٦٨) التميمي، المستفاد، م.س، ص. ٨٠؛ ابن عيشون، **الروض العطر الأنفاس**، م.س، ص١٠٥

(٦٩) حول ابن طاطو أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس، م.س، ص ٣٨٦.

(٧٠) محمد بن عبد الله، **النشاط العمراني للدولة المغربية في وقف وتشييد القناطر والجسور**، مجلة دعوة الحق، عدد ٢٤٦، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٩٨٥، ص١٨١

(٧١) نفسه.

(٧٢) ابن عيشون، **الروض العطر الأنفاس**، م.س، ص١٩٣.

(٧٣) نفسه.

(٧٤) نفسه، ص ٦٣- ٦٤.

(٧٥) نفسه، ص٦٤.

(٧٦) محماد لطيف، **الحياة الأسرية بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني**، م.س، ص348.